



حملة نادر شاه على العراق عام ١٧٤٣

اصبح العراق في مأمن من خطر نادر شاه بعد عام ١٧٣٦م لانشغاله في **قمع المعارضة الداخلية، ولقيادته حملته المشهورة على الهند** في عام ١٧٣٨م. وفي عام ١٧٤١م، تقدم نادر بطلبات إلى الدولة العثمانية تضمنت **حرية التجارة التامة، ولأكساء الكعبة الشريفة من قبله، وعدم بيع وشراء الاسرى من كلا الطرفين**، غير أن الدولة العثمانية رفضت هذه الطلبات، فاتخذ نادر شاه هذا الرفض حجة لهجومه على العراق.

في تموز عام ١٧٤٣م بدأت القوات الايرانية التي تقدر بـ ١٧٠٠٠٠ جندي تتجه نحو الاراضي العراقية عن طريق محور **كركوك-اربيل**، وقد سيطرت هذه القوات على قسم من **شهرزور ودرنه ومندي**، كما قامت في الوقت نفسه قوات ايرانية اخرى بالهجوم على **ارضروم بهدف اشغال الدولة العثمانية بالحرب على جبهتين**، وقد وصلت إلى مسامع احمد باشا والي بغداد اخبار عبور القوات الايرانية حدود العراق الشرقية، فبذل كل ما في وسعه **تموين بغداد وترميم اسوارها وسد الشغرات فيها**، غير أن نادر لم يتعرض هذه المرة إلى بغداد

وانما توجه نحو شمال العراق وذلك لرغبته في قطع طرق المواصلات العثمانية في شمال العراق، فالقوات العثمانية في جميع حملاتها كانت تنطلق من الموصل وتتجه نحو بغداد، فسيطرت على الموصل تعني أن بغداد والبصرة اصبحت في متناول يده، وعلى هذا الاساس زحف نادر شاه نحو شمال العراق. فتوجه نادر شاه نحو **كركوك** وفرض حصارا شديدا على قلعتها، وبدأت المدفعية الايرانية تقصفها وبشكل مركز، واستمر القصف **لمدة يومين**، استسلمت المدينة بعد هروب حاكمها، وقامت القوات الايرانية بمجزرة رهينة في القلعة. ومن كركوك بعث نادر شاه بواسطة قاضي كركوك ومعه اثنين من اعيان المدينة، برسالة إلى والي الموصل

حسين باشا الجليلي والى مفتي الموصل يحيى افندي، وقد ذكر في رسالته **فتوحاته في الهند والحاقه الهزيمة بالعثمانيين**. كما طالب في رسالته الاستسلام قبل فوات الاوان، ثم توجه نادر شاه نحو **اربيل**، وفرض حصارا عليها، وما لبثت أن سقطت هي الأخرى بعد حصار دام **اربع ساعات**، وفي اربيل تسلم نادر شاه جواب حسين باشا الجليلي والى الموصل، وقد ذكر الجليلي في رسالته **أن الموصل مستعدة لرد كيد كل محتل اجنبي**، وتوجه نادر شاه من اربيل نحو الموصل، وقبل تحركه ارسل احد رجاله مرة اخرى إلى حسين باشا الجليلي يطلب منه التسليم إلا أن الجليلي رفض ذلك بكل اباء، واعاد قوله أن الموصل مستعدة لرد كل اجنبي وانهم مستعدون لملاقاتهم، وقد اغضب هذا الرد نادر شاه الذي عزم على فرض سيطرته على مدينة الموصل.

كانت اخبار دخول القوات الايرانية الاراضي العراقية، قد تسربت إلى الموصل قبل وصول نادر شاه إلى كركوك، وقد يكون ذلك التسرب عن طريق القوافل التجارية التي تسلك طريق بغداد- الموصل، وعند وصول رسالة نادر شاه إلى اهل الموصل جمع حسين باشا الجليلي الموصلين عند **الجامع الاحمر**، وفي اجتماع تاريخي حافل قرأ عليهم نص رسالة **نادر شاه**، فتعالت الاصوات من كل جانب طالبة التمسك بالمدينة والدفاع عنها حتى الرمق الاخير، كما انهم اكدوا للباشا الجليلي عزمهم على خوض غمرات الاخطار والمهالك في سبيل انقاذ الموصل من غائلة المحتل الاجنبي واقسموا امام واليهم، بانهم سوف يقومون بقتل جميع النساء كيلا يقعن بيد الايرانيين إذا ما انتصر عليهم نادر شاه.

بذل حسين باشا الجليلي كل ما في وسعه **لترميم سور المدينة وسد الثغرات فيه وتحصين القلاع وتعميق الخندق حتى يادر إلى نقل التراب بنفسه**، كما **اصدر اوامره إلى سكان الاطراف، بالتوجه إلى داخل الموصل للاحتماء بأسوارها المنيعة خوفا من تعرض نادر شاه لهم**.

في ١٥ تموز ١٧٤٣م، ظهرت قوات ايرانية تقدر **بحوالي عشرة الاف جندي في الجهة الشرقية من الموصل**، فارسل حسين باشا الجليلي اخاه عبد الفتاح بك على رأس جيش كبير لاعتراض سبيل الجيش الايراني الزاحف، إلا أن الايرانيين استطاعوا أن يكبدوا جيش عبد الفتاح بك خسائر فادحة، فاضطر أن يرجع إلى الموصل التي اغلقت ابوابها منتظرة مصيرها المجهول، كما تعرض الجيش الايراني لقوات عثمانية جاءت من حلب بقيادة واليها لمساعدة الموصلين. وفي ١٠ ايلول ١٧٤٣ وصلت قوات ايرانية الى قرية يارمجة شرقي دجلة على بعد زهاء خمسة كيلومترات عن مدينة الموصل، فاسرع الوالي حسين باشا بإرسال ثلة من الخيالة يقدر عددها بثمانمائة مقاتل للتصدي لها وبعد قتال عنيف، تمكنت

هذه القوة من الانسحاب الى المدينة بالرغم من محاولة الايرانيين قطع طريق عودتها. وفي ٢٦ ايلول ١٧٤٣م، وصل نادر شاه إلى مشارف الموصل **بجيش قوامه ١٥٠ ألف جندي**، وخيم في **يارمجة**، وهي قرية بالقرب من الموصل، واتخذها مقرا له، وبعد ثلاثة ايام نصب نادر شاه جسرا على نهر دجلة لعبور قواته إلى جانب المدينة، وامر ببناء اثني عشر برجاً من الاحجار في قبالة ابراج المدينة ووزع على هذه الابراج مدافعه الضخمة. وفي ٢٨ ايلول ١٧٤٣م، بدأت المدفعية الايرانية تقصف المدينة وبشكل مكثف، لقد استمر القصف **مدة ثلاثة ايام بدون انقطاع**، إلا أن هذا القصف العنيف والمركز لم يثن عزم المدافعين الذين كانوا يباغتون جيش نادر شاه ليلاً ويلحقون به خسائر فادحة.

رأى نادر شاه أن قصف المدينة من كل الجهات، لا يجدي نفعا، فعمد على تغيير خطة القصف، فأمر **بقصف المدينة من جانب واحد**، بهدف احداث ثغرة في سورها، فبدأت المدفعية، توجه نيرانها على **برج باش طابية الشمالي** والذي كان مقرا لحسين باشا الجليلي، الذي اضطر إلى ترك مقره، والتوجه إلى **السراي**، لقد ادى القصف الشديد إلى تصدع جدران البرج، وفتح ثغرة واسعة في السور، تمكن بعض الخيالة الإيرانيين من الاندفاع منها إلى الداخل إلا أن المحاصرين كانوا يطلقون النار عليهم، فيردونهم إلى اعقابهم، وقد استطاع الموصليون بناء ما تهدم من السور، كما اقاموا حائطا ضخما خلف الثغرة مباشرة وواصلوها بالسور، بل انهم استطاعوا في احدى الليالي أن يسرقوا مقر قيادة الايرانيين ويأتوا بالغنائم إلى الخندق الذي كان خاليا من الماء حيث القى لهم اصحابهم الحبال وتسلقوا بها إلى اعلى السور. امر نادر شاه **بقصف المدينة ومن جميع الجهات مرة اخرى**، ولمدة خمسة ايام بدون انقطاع، حتى قدر ما القى على المدينة من قتابل بأربعين الف قنبلة ومائة الف قذيفة هاون، إلا أن تأثير هذه القنابل كان قليلا، لان مفعولها كان يبطل بفعل ابار الخندق القائمة خلف السور، أو انها تنفجر في الهواء وبعضها تسقط بين البيوت دون أن تنفجر، فلجأ الموصليون إلى جمعها واستعمالها مرة اخرى ضد الجيش الايراني. لقد ادرك نادر شاه أن المدينة لن تسقط بسهولة، فلجأ إلى خطة عسكرية اخرى، وذلك **باستغلال عامل الزمن لصالحه عن طريق فرض حصار التعطيش والتجويع**، فأمر بتحويل احدى فرعي نهر دجلة عن الموصل، وسد جميع الطرق الموصلة إلى المدينة، وتوجه هو إلى مهاجمة القرى المحيطة بالموصل، والتي لم تسلم من فتكه، وانزل جام غضبه على اليزيدية في سنجار وقتل كثيرا منهم، كما بعث بعض قواته إلى التون كوبري التي رفعت راية الاستسلام حال اقتراب القوات الايرانية منها، وبعد أن نهب نادر شاه القرى المحيطة وفتك باهلها، عاد إلى الموصل، ليجرب خطة عسكرية اخرى، هذه الخطة **هي حفر انفاق ارضية تحت سور المدينة لنفسه بالبارود**، وكانت الخطة المرسومة،

غير أن هذه الخطة قد فشلت بسبب عدم انفجار الألغام بسبب الرطوبة، إذ لم ينفجر من الألغام إلا اثنان الحقا بالقوات الايرانية ضرر اكثر مما الحقا بالموصلين، وقد وقع الجنود الذين كانوا قد نزلوا إلى اسفل سور المدينة فريسة بيد اتباع حسين باشا الجليلي الذي امر بقتلهم جميعا.

بعد أن استنفذ نادر شاه كل الوسائل العسكرية من اجل السيطرة على الموصل، ادرك أن طلب الصلح خير له من البقاء في الموصل بعيدا عن مقر سلطنته خاصة وان اخبارا تناهت له بحدوث تمرد جديد في فارس وشيروان، فقرر **فتح باب المفاوضات مع حسين باشا الجليلي** الذي رفض أول الامر مقابلة وفد ايراني لخوفه أن يكون الامر خدعة عسكرية، ثم ارسل نادر شاه وفدا اخر برئاسة مفتي الجيوش الايرانية، واجتمع هذا مع حسين باشا مفتي الشافعية وقره مصطفى بك قاضي الموصل ووسط مظاهر الحفاوة والتكريم تم الاتفاق على شروط غريبة للصلح، لا تزيد على طلب نادر شاه عدد من الخيول ومقدارا من الزيت، ففعل نادر شاه راجعا إلى بغداد في ١٥ تشرين الأول ١٧٤٣م. لقد كان دفاع الجليليين عن الموصل وصمودهم امام نادر شاه، مدعاة إلى رفع منزلتهم لدى السلطان العثماني محمود الأول الذي كافأ حسين باشا الجليلي بتمليكه قرية (قره قوش) التي كانت من خواص آيالة شهرزور.

في الوقت الذي كانت الموصل تدافع عن كيائها اصدر نادر شاه اوامره إلى خواجه **خان قائد القوات الايرانية، في الحويزة** بالزحف على **البصرة** والسيطرة عليها، فبعث برسالة إلى **متسلم البصرة** يطلب فيها تسليم المدينة، وقد رد متسلم البصرة بكل دقة على الرسالة خواجه، بانه من اتباع السلطان العثماني وخاضع لوالي بغداد احمد باشا، فكيف يمكنه تسليم المدينة له. في ٢٨ اب ١٧٤٣ ، قامت القوات الايرانية التي بلغ عددها اكثر من ١٢٠٠٠ **جندي** باجتياز **شط العرب** على جسر من القوارب شيد لهذا الغرض، أو بواسطة السفن، وبعد اتمام عملية العبور الى الضفة الغربية من شط العرب، واصل تقدمه بمحاذاة النهر، فاستولى على قرية **السبيليات** الواقعة على الضفة شط العرب، على بعد ١٣ كم من مدينة البصرة، حيث ارتكبت مذبة رهيبة، قتل فيها الرجال، واسترق النساء والاطفال. ثم واصل تقدمه مجتازا الانهار والجداول العديدة التي تأخذ مياهها من شط العرب، حتى وصل الى قرية **السراجي**، وهي قرية تبعد زهاء كيلومترين فقط، فاستولى عليها، وارتكب فيها مذبة كما فعل مع سابقتها، وعاثت قوات الغزو في عدد من القرى في حين اضطرت قرى اخرى الى اعلان خضوعها للغزاة، خشية تعرضها لنفس المصير. ولم تنج **الزبير** وهي بلدة مهمة تقع على حافة البادية الى الجنوب من البصرة،

من الغزو والتخريب. كانت القوات الايرانية قد بدأت بفرض حصارها على البصرة في ٢٨ اب وقد اصدر **المقيم البريطاني في البصرة ميستر دوريل (Mister Dorel)** وامره بمغادرة جميع السفن الانكليزية مياه شط العرب وعدم الاقتراب منها، بل وامر بأبعاد فرقته الصغيرة التي كان يملكها هو شخصيا، ولكن بحارة هذه الفرقة كانوا من العرب فارغموا قائدها على أن يرجع بها إلى البصرة، لقد قام المتسلم بسجن المستر دوريل بسبب رفضه اعارة سفنه، في خيمة بالقرب من اسوار المدينة، وقد رضح دوريل، لإرادة المتسلم. وقد فشلت عدة هجمات شنتها القوات الايرانية في اثناء الحصار، فقد كانت هذه القوات تفتقر الى المدفعية الثقيلة، كما ان تسليحها كان بوجه عام تسليحا خفيفا، وقد احست القيادة الايرانية بهذا النقص، وكانت التقارير المرفوعة الى نادر شاه تطالب بتزويد الحملة بمدفعية ثقيلة العيار يمكن ان تلعب دورا حاسما في الحرب. وفي ٢٧ تشرين الثاني وصلت الى مواقع القوات المهاجمة مدافع ثقيلة لاستخدامها في الحصار. ورغم عدم وجود معلومات عن عدد هذه المدافع ومدى فاعليتها فان بإمكان المرء ان يتصور اهميتها في تعزيز القوات الغازية، فقد قصفت المدينة قصفا شديدا اضر ببعض المنشآت، وقد استمر القصف ليل نهار، اصببت فيه بعض المباني المهمة مثل **القنصلية الفرنسية وخان الكرملين** ثم شددت القيادة الايرانية من ضغطها على القوات المدافعة فازداد قصف مدافعها، ثم قامت بهجوم اخر الا ان قوات البصرة نجحت مرة اخرى من صدها ودحرها، وسرعان ما اصدر نادر شاه اوامره إلى قائد الحملة بفك الحصار في ٢٧ تشرين الثاني ١٧٤٣ م، يبدو أن انسحاب القوات الايرانية يرجع إلى اعتقاد نادر شاه انه لا جدوى من استمرار الحصار بعد أن اخفق في احتلال الموصل، والتي تشكل عقدة المواصلات بالنسبة للقوات العثمانية، واحتلالها يعني من الوجهة العسكرية سقوط بغداد والبصرة عسكريا، ومهما يكن من امر، فان نادر شاه بعد فشله في السيطرة على الموصل، رجع إلى اطراف بغداد التي خيم عليها الخوف والقلق، غير أن هذا الخوف سرعان ما تبدد بعد أن اعلن نادر شاه بعد زيارته لمرقد موسى الكاظم (ع) انه يرغب في عقد اجتماع بمدينة النجف الاشرف للتباحث في الامور التي اختلف عليها المسلمون، ويضع حدا للنزاع بين الطرفين العثماني - الايراني، وقد اختار فعلا كل من نادر شاه واحمد باشا عدد من العلماء للاجتماع في النجف، وبعد مناقشات طويلة بين علماء الطرفين، اصدروا ما يمكن أن نسميه بالبيان الختامي لمؤتمرهم، تضمن امورا تتعلق بالبحث على امور وحدة المسلمين وضرورة معاملة الاسرى باللطف والاحسان وتعيين السفراء في كلتا الدولتين، وبعد انتهاء مؤتمر النجف عاد نادر شاه إلى بلاده لقمع التمرد الذي حدث ضده، وفي ١٤ ايلول ١٧٤٦ م، توصلت الدولتان العثمانية والايرانية إلى عقد معاهدة جديدة تضمنت الاعتراف بالحدود التي رسمت على اساس معاهدة زهاب ١٦٣٩ م، وتسهيل سفر الحجاج الايرانيين إلى بيت الله عن طريق بغداد الشام، وتبادل السفراء بين الدولتين،

وعدم جواز بيع لأسرى وفسح المجال لعودة الراغبين منهم. وتنفيذا لبنود المعاهدة الجديدة تم تعيين **احمد باشا كسريه لي** سفيراً لدى ايران، وعين الشاه بدوره **مصطفى خان** سفيراً لها في اسطنبول. وحمل كل واحد من السفيرين، وهو متوجه الى مقر عمله الهدايا ونسخة مصدقة من المعاهدة، والتقىا في بغداد، ولكن السفير العثماني رجع الى بغداد بعد وصوله الى همدان لسماعه بمقتل نادر شاه الذي اغتيل في ٢٠ حزيران عام ١٧٤٧، اما السفير الايراني فمكث في بغداد ريثما ينجلي الموقف في بلاده.

لقد اصبح العراق بعد مقتل نادر شاه بمأمن من الخطر الايراني، لان ايران اصبحت مسرحاً للفوضى والاضطرابات والصراع بين الطامعين على السلطة، ولم تحاول الدولة العثمانية التدخل في شؤونها الداخلية لأنها كانت تحاول القضاء على النفوذ المملوكي في بغداد بعد وفاة احمد باشا سنة ١٧٤٧م، ولأنها ادركت أن تدخلها في الشؤون الداخلية لا يجدي نفعاً، لاسيما وانها قد مرت بتجارب من هذا القبيل، عندما استغلت الغزو الافغاني لإيران حين امرت ولاية بغداد التدخل في شؤون ايران الداخلية، واحتلت بعض المدن المهمة، ثم اجبرت على التخلي عنها بسبب بروز شخصية نادر شاه وكانت تخشى لو تدخلت في شؤونها الداخلية أن يظهر مغامر مثل نادر شاه، عندئذ تنكبد خسائر فادحة، وتضطر إلى اخلاء المناطق التي سيطرت عليها، فضلاً عن انشغال الدولة العثمانية في حروبها ومشاكلها الاوروبية لاسيما مع روسيا. ومن أجل ان تحافظ الدولة العثمانية على بنود المعاهدة التي ابرمتها مع نادر شاه عام ١٧٤٦ فقد رفضت الاستجابة للسفير الايراني مصطفى خان الذي طلب مساعدتهم للوصول الى العرش الايراني.

